



{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}.

إنَّ الذَّهَجَ النبوي يعتمد خطاب الرِّحمة والدُّعاء والمغفرة كما في قوله تعالى على لسان نبيٍّ {عيسى (ع): {إِن تَعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عَادُونَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّهُمْ زَكَّاءُ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

ولذلك لم يُقاتل الإمام أحداً لفساد عقيدته أو رأيه، لم يكن في عهده أيَّ سجين رأيٍ، كما لم يفرض الإقامة الجبريَّة على أحدٍ خوفاً مِنْهُ أو ردعاً له، كما فعل [الخلفاء الثلاثة] من قبله.

حتَّى الطَّاغية مُعاوية بن هند آكلة الأكباد الطَّلِيق بنُ الطَّلِيق لم يطلب مِنْهُ الإمام (ع) أكثر من

أن يمثل للنظام العام، والالتزام بالدستور والقانون وعدم التمرّد على ما اتّفقت عليه الأمّة، فكانَ يَقُولُ له: {وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قِتْلَةِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيَّ مَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ. وَأَمَّا تِلْكَ السَّيِّئَةُ فإِنِّي تَرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّيِّئِ عَنِ اللَّيِّنِ فِي أَوَّلِ الْفَصَالِ، وَالسَّلَامُ لَهُ}.

حتّى إنّه (ع) حاجه بالتزاماته تحديداً وتلكَ أعظم المحاجات التي ثبتّها الشرع كقاعدةٍ فقهيةٍ والتي تسمّى بـ [قاعدة الالتزام] لقول رسول الله (ص): {أَلَزِمُوهُمْ بِمَا أَلَزَمُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} ومن المعلوم فإنّ مَنْ لم يلتزم بعهدِهِ والتزاماته وما يصرّح بِهِ لا ينتظر منه أحدٌ أن يلتزم بعهدٍ غيره.

لقد كتب إليه الإمام مرّة: {إِنَّهُ بِأَيِّعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْعَائِلِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّ مَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ رِضًى، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْعَنَ أَوْ بَدْعَةَ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتِلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْهُمُومِينَ، وَلَا لَهُ إِلَّا مَا تَوَلَّى}.

كما إنّه (ع) لم يكن ليدعو الطاغية المتمرّد إلى أكثر من أن يعودَ إلى عقله فقط ليستنتج النهاية الصحيحة، ويُسْقِط التّهمة التي أشاعها ضدّه (ع)، فكتب إليه يقول: {وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةَ، لَتَنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لِتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عِزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّدَنِي؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلَامُ}.

وبعد أن ألقى الإمام الحجّة كاملة غير منقوصة وواضحة عسى ملبّسٌ عليها، مع كلّ هذا لم يقاتله الإمام إلّا بعد أن بدأ الطاغية المتمرّد يشنّ الغارات المسلّحة على أطراف الدّولة لإرهاب المجتمع وإرهاب الآمنين، فراح يبعث بقطّاع الطّرق والخارجين عن القانون ليشنّوا الغارات على الآمنين وكلّ ذلك لاثارة الفوضى في وجه الخليفة وبالتّالي لإسقاط شرعيّة الحكومة التي تقوم على أساس الأمن والسّلم الأهليّين أوّلاً وقبل أيّ شيءٍ آخر، كما تُشير إلى ذلك الآية المباركة: {لَا يَلَافُ قُرَيْشٌ * إِلَّا لَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلَا يَدْعُبُ دُورَ رَبِّ هَذَا

الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ}.

فلقد وصفَ الإمام (ع) جانباً من أفعالهم وجرائمهم بقوله: {أَلَا - وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغْزُوهُمْ فَبِلَّ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غَزِي قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا دَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمْ الْاَوْطَانُ. وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خِيَلُهُ الْاَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خِيَلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْاُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبِيهَا وَقَلَائِدَهَا، وَرِعَاثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَاَوْ أَنْ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا. فَيَا عَجَبًا! عَجَبًا - وَاللَّهِ - يُمَيِّتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ - مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يَغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تُغَرُّونَ، وَيُعْصَى الْاُ وَتَتَرَضُونَ}!

ومن خطبة له (ع) وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عامله على اليمن - وهما عبيدا بن العباس وسعيد بن نمران - لمَّا غلبَ عليها بُسْرُ بن أبي أَرطاة، فقام (ع) إلى المنبر ضجراً بتناقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي، وقال: {مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ، أَقْبَضُهَا وَأَبْسُطُهَا، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أُنْتِ، تَهْبُ أَعاصيرُك، فَقَبِّحَكَ! وتمثل: لَعَمْرُكَ أَيْبُكَ الْخَيْرُ يَا عَمْرُؤَ إِنِّي * عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْاَنْزَاءِ قَلِيلٍ ثُمَّ قَالَ (ع): أُنْبِئْتُ بُسْرًا قَدْ اطَّلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا طُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ سَيُذِلُّونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَيَمْعُصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمْ الْاِمَانَةَ إِلَي صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِمَصْلَاحَتِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ، فَلَاوَائْتُمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعَبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ}.

أمامَ كلِّ هذه الجرائم الوحشيَّة التي ارتكبتها الطَّاغية المتمرِّد، لم يكن للإمامِ (ع) أن يقف مكتوفَ الأيدي متفرِّجاً، أبداً، وإلا سقطت شرعيَّة السِّلطة وهيبة الدَّولة، بل أكثر من هذا فمن كلامٍ له (ع) وقد أشارَ عليه أصحابهُ بالاستعدادِ لحربِ أهْلِ الشَّام بعد إرسالهِ جرير بن عبد الله البجلي إلى مُعاوية {إِنَّ اسْتَعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ، إِغْلَاقُ لِلشَّامِ، وَصَرْفُ لَاهِلِهِ عَنْ خَيْرِ إِنِّ أَرَادُوهُ، وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لَجَرِيرٍ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْذُوعًا أَوْ عَاصِيًا، وَالرَّأْيُ مَعَ الْأَنْبَاءِ، فَأَرْوِدُوا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْأَعْدَادَ. وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَرْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنُهُ، وَقَلَّ بَيْتُ طَهْرَهُ وَبَطْنُهُ، فَلَمْ أَرَلِي إِلَّا الْقِتَالِ أَوْ الْكُفْرِ. إِنََّّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأَمَّةِ وَالْأَحَدِثِ أَحْدَانًا، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالًا، فَقَالُوا، نُمِّ زَقَمُوا فَغَيَّرُوا}.